[12] الواقعيات المتضادة للكمال: فإذا كان الشارع قد أعلن عن خاتمية الرسالة وكمال الشريعة الاسلامية، وجب أن تتقارب الخطى والمواقف بين المسلمين، ويقل الخلاف والنقاش بينهم، ويجتمع الكل على مائدة القرآن والسنة من دون أن يختلفوا في عقائدهم، ولا أن يتشاجروا في تكاليفهم ووظائفهم. ولكننا - مع الاسف - نشاهد في حياة المسلمين أمرا لا يجتمع مع هذا الكمال، بل يضاده، ويخالفه بل وينادي بظاهرة بعدم كماله من حيث الأصول والفروع، وينادى بأن الرسول صلى ا عليه وآله ما جاء بشريعة كاملة جامعة الأطراف شاملة لكل شئ. وتلك الحقيقة المضادة لحديث الكمال هي الاختلافات الكبيرة والخلافات العريقة التي حدثت بين المسلمين بعد وفاة رسول ا صلى ا عليه وآله بل قبيلها أيضا. فقد صاروا في أبسط المسائل إلى معقدها إلى اليمين واليسار، وافترقوا فرقتين أو فرقا حتى انتهوا إلى سبعين فرقة، بل إلى سبع مائة فرقة. فهذا هو التاريخ يحدثنا أن أول تنازع وقع في مرضه (عليه الصلاة والسلام) هو ما رواه البخاري بإسناده عن عبد ا بن عباس، قال: لما اشتد بالنبي مرضه الذي مات فيه، قال: ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى، فقال عمر (رضي ا عنه): إن رسول ا صلى ا عليه وآله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب ا وكثر اللغط فقال النبي صلى ا عليه وآله قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع، قال ابن عباس: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين رسول ا (1). ولم ينحصر الخلاف في أخريات حياته، بل ظهر الخلاف في تجهيز جيش

_____

(1) صحيح البخاري ج 1 باب كتابة العلم ص 29 وأيضا ج 4 كتب الجهاد باب جوائز الوفد ص 69، وصحيح مسلم ج 5 كتاب الوصية، باب ترك الوصية ص 76.